بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد: فيقول الله -تبارك وتعالى -في هذه السورة الكريمة سورة البقرة: : **(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)(255)**

آية الكرسي أعظم آية في كتاب الله تعالى، ففي صحيح مسلم عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا المنْذِرِ، أتَدْرِي أيُّ آيَةٍ مِن كِتابِ اللهِ معكَ أعْظَمُ؟ قالَ: قُلتُ: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ. قالَ: يا أبا المنْذِرِ أتَدْرِي أيُّ آيَةٍ مِن كِتابِ اللهِ معكَ أعْظَمُ؟ قالَ: قُلتُ: {اللَّهُ لا إلَهَ إلَّا هو الحَيُّ القَيُّومُ} [البقرة:255]. قالَ: فَضَرَبَ في صَدْرِي، وقالَ: واللَّهِ لِيَهْنِكَ العِلْمُ أبا المنْذِرِ. صحيح مسلم

وفي حديث رواه أحمد وصححه الألباني أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ سألَه أيُّ آيةٍ في كتابِ اللهِ تبارك وتعالَى أعظمُ قال اللهُ ورسولُه أعلمُ فردَّدها مرارًا ثم قال أبي آيةُ الكرسيِّ فقال ليهنَك العِلمُ أبا المنذرُ والذي نفسي بيدِه إنَّ لها لسانًا وشفتيْنِ تُقدِّسُ المِلكَ عند ساقِ العرشِ) الدرر السنية

قراءة هذه الآية فيه حفظ لتاليها وطرد للشياطين؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-قَالَ: "وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، وَقُلْتُ وَاللَّهِ لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ إِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَي عِيَالٌ، وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ؟ قَالَ: فَخَلَّيْتُ عَنْهُ فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ النَّبِي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟" قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالاً فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: "أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ"، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِنَّهُ سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ لاَ أَعُودُ؛ فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ؟" قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالاً، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ؟ قَالَ: "أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ"، فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ؛ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَهَذَا آخِرُ ثَلاَثِ مَرَّاتٍ أَنَّكَ تَزْعُمُ لاَ تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ، قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: "إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِي: (اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَي الْقَيُّومُ)، حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلاَ يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟" قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ، يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: "مَا هِيَ؟" قُلْتُ قَالَ لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِي مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ: (اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَي الْقَيُّومُ) وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلاَ

يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيءٍ عَلَى الْخَيْرِ، فَقَالَ النَّبِي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاَثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ" قَالَ: لاَ، قَالَ: "ذَاكَ شَيْطَانٌ"[رواه البخاري].

ويدل هذا الحديث على أنه يشرع قراءة آية الكرسي كل ليلة إذا أوى المسلم إلى فراشه، فقد صدَّقَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قوله، ولعل ذلك لانها آية أخلصت لبيان التوحيد، فيكون من أواخر ما ينام عليه المسلم آية التوحيد.

ويشرع قراءتها في أذكار الصباح والمساء، ففي قصة أسير أبيّ بن كعب -رَضي الله عنه-، وفيها

قال ابن كثير: وعن عبد الله بن أبي بن كعب أن أباه أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ كَانَ لَهُمْ جُرْنٌ فِيهِ تَمْرٌ، وَكَانَ أُبَيٌّ يَتَعَاهَدُهُ فَوَجَدَهُ يَنْقُصُ، فَحَرَسَهُ فَإِذَا هُوَ بِدَابَّةٍ تُشْبِهُ الْغُلَامَ الْمُحْتَلِمَ، قَالَ: فَسَلَّمَتْ فَرَدَّ السَّلَامَ، فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ، أَجِنٌّ أَمْ إِنْسٌ؟ قَالَ: جِنٌّ، قَالَ: فَنَاوِلْنِي يَدَكَ، فَنَاوَلَنِي يَدَهُ، فَإِذَا يَدُ كَلْبٍ وَشَعْرُ كَلْبٍ، قَالَ: هَكَذَا خَلْقُ الْجِنِّ، قَالَ: لَقَدْ عَلِمْتَ الْجِنَّ، مَا فِيهِمْ أَشَدُّ مِنِّي، قَالَ لَهُ أُبَيٌّ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: بَلَغَنَا أَنَّكَ رَجُلٌ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ فَأَحْبَبْنَا أَنْ نُصِيبَ مِنْ طَعَامِكَ، قَالَ أُبَيٌّ: فَمَا الَّذِي يُجِيرُنَا مِنْكُمْ؟ قَالَ: هَذِهِ الْآيَةُ آيَةُ الْكُرْسِيِّ، ثُمَّ غَدَا أُبَيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صَدَقَ الْخَبِيثُ. الترغيب والترهيب

ولم يقتصر فضلها على حفظ العبد من الشرور وشياطين الجن والإنس، بل جعل الله المداومة عليها سبباً من أسباب دخول الجنة؛ فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ -رَضي الله عنه-قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلى الله عليه وسلم-: "مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ، لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ" صحيح الجامع

ومن فضائل آية الكرسي أيضاً: أنها تشتمل على اسْمِ اللهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ؛ فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ -رَضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلى الله عليه وسلم-: "اسْمُ اللهِ الْأَعْظَمُ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، فِي سُوَرٍ ثَلَاثٍ: الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ، وَطه"، قال الْقَاسِم أبو عبد الرحمن: "فالتمستُها فوجدت في "سورة البقرة" آية الكرسي: (اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ)، وفي "سورة آل عمران" فاتحتها: (اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ)، وفي "سورة طه": (وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ)" [رواه ابن ماجة والحاكم وحسنه الألباني].

ومما ينبغي أن يتدبره المؤمنون في هذه الآية الكريمة: حسن افتتاحها بأجل أسماء الله -تعالى-، وهو: (اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ).

وكانت أعظم آية لما اشتملت عليه من الأسماء الحسنى والصفات العلى لله تعالى، ونفي النقائص عنه سبحانه وتعالى.

قال النووي في شرح مسلم: قال العلماء: إنما تميزت آية الكرسي بكونها أعظم لما جمعت من أصول

الأسماء والصفات من الإلهية والوحدانية والحياة والعلم والملك والقدرة والإرادة، وهذه السبعة أصول الأسماء والصفات .اهـ

وُ تسمى آية الكرسي لذكر الكرسي فيها.

قال عنها الشيخ السعدي –رحمه الله–: "هذه الآية الكريمة أعظمُ آيات القرآنِ وأفضلُها وأجلها، وذلك لما اشتملت عليه من الأمور العظيمة والصفات الكريمة، فلهذا كثرت الأحاديث في الترغيب في قراءتها وجعلها ورداً للإنسان في أوقاته صباحاً ومساءً، وعند نومه، وأدبار الصلوات المكتوبات" أ. هـ.

نبدأ بتفسير الآيات وتدبرها مستعينين بالله متوكلين على الله:

(**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**) أي: لا أحدَ معبودٌ بحقٍّ سوى الله تعالى؛ فهو وحده المستحِقُّ للعبادة حبًّا وتعظيمًا له تعالى؛ لكمال صفاته. موسوعة التفسير

فلما ذكر جل وعلا في أول آية الكرسي أنه المعبود بحق ولا معبود بحق سواه أتبع ذلك بذكر البراهين والدلائلْ

(**الْحَيُّ الْقَيُّومُ**) أي: إنَّ الله تبارك وتعالى هو الذي له الحياة الكاملة، التي لم يَسبِقها عَدَمٌ، ولا يَلحَقها زَوال، المستلزِمة لجميع صِفاتِ الكمال، وهو أيضًا القائم بنفسه؛ فلا يحتاج لأحد، القائمُ بأمور غيره من خَلْقه من الرِّزق وغيره؛ فكلُّ الموجودات إليه مُفتَقِرة، ولا قِوام لها بدونه، وهذه القَيُّوميَّة مُستلزِمةٌ لجميع أفعال الكمال. موسوعة التفسير

" الحَيُّ القَيّومُ "

هذين الإسمين (الحي القيوم) هما الجامعان لمعاني الأسماء الحسنى، وعليهما مدار الأسماء الحسنى، وإليهما ترجع معانيها جميعها فالحي الجامع لصفات الذات، والقيوم: الجامع لصفات الأفعال. عبد الرزاق البدر

❶ ❀البرهان الاول الحي: ذو الحياة الكاملة المتضمنة لجميع صفات الكمال، التي لم تسبق بعدم ولا يعتريها نقص ولا يلحقها زوال، كما قال تعالى: (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ [الفرقان: 58] الاول ليس قبله شيء والاخر ليس بعده شيء.

⇦ كمال الحياة يستلزم كمال الصفات كامل العلم والقدرة والرحمة والمغفرة .....

وفي ذكر صفة (الحي) بعد قوله عز وجل (الله لا إله إلا هو) استدلال على إثبات تفرّده بالألوهية وإبطال عبودية كل من سواه، وذلك لأنه لا يستحق العبادة إلا من كان حياً بالحياة الذاتية الدائمة

الأبدية، وحيث لا حيّ بهذه الحياة إلا الله الأحد فلا يستحق العبادة إلا هو، كما قال إبراهيم عليه السلام (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا (42) مريم.

الآثار المترتبة على معرفتنا بهذا الاسم:

أولاً: محبة الله تعالى وإجلاله.

ثانياً: التوكل الصادق على الله، كما قال تعالى (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ).

ثالثاً: الزهد في الدنيا الفانية وعدم الاغترار بها، لأنه مهما أعطي العبد من العمر فلا بد من الموت.

❷ البرهان الثاني القيوم: القائم بنفسه المستغني عن كل أحد، القائم على خلقه، وكل احد يحتاج اليه، هو القائم علينا منذ ان كنا أجنة وإلى أن نموت، كل أحد يفتقر له سبحانه في جلب المنافع ودفع المضار

قال ابن أبي العز: وأما القيوم، فهو متضمن كمال غناه وكمال قدرته، فإنه القائم بنفسه، فلا يحتاج إلى غيره بوجه من الوجوه، المقيم لغيره، فلا قيام لغيره إلا بإقامته.

والقيومية التي هي صفة من صفات الله تبارك وتعالى تدل على أمرين:

1-الأمر الأول: قيامه سبحانه وتعالى بنفسه، وهذا يدل على كمال غناه سبحانه وتعالى؛ فهو قائم بنفسه غني عن خلقه جل وعلا {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} [فاطر:15]، وفي الحديث القدسي يقول تعالى (يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي) وهو جل وعلا قيوم قائم بنفسه غني عن خلقه.

2-والمعنى الآخر الذي تدل عليه قيوميته سبحانه: قيامه سبحانه وتعالى بشؤون خلقه خلقا وملكا وتدبيرا؛ وهذا يدل على كمال قدرته وتدبيره لشئون الخلق كما قال عز وجل: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ) [الروم: 25]. وكما قال جل وعلا (إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ) [فاطر:41]

وفي كل صباح نستغيث به ونقول يا حي يا قيوم برحمة استغيث، إذا وكلنا الى أنفسنا طرفة عين نهلك، تفكروا في الجلطة ماذا قال أصحاب الاختصاص؟ قالوا أنها تجلط نقطة دم مثل رأس الدبوس، من أجرها في عروقنا منذ كنا أجنة في بطون أمهاتنا، لا حول ولا قوة لنا الا بالحي القيوم، كمال حياته وقيوميته ليست لأحد سواه، حتى نعلم أفتقار العالم العلوي والسفلي له سبحانه عز وجل. (قُلْ مَن يَرْزُقُكُم

مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (31) يونس

آثار الإيمان المترتب على الإيمان باسم الله القيوم:

أولاً: محبته سبحانه وحمده وإجلاله وتعظيمه.

ثانياً: التبرؤ من الحول والقوة والافتقار التام لله، وإنزال جميع الحوائج بالله.

ثالثاً: إخلاص الاستعانة والاستغاثة والاعتصام لله عز وجل، وقطع التعلق بالمخلوق الضعيف المربوب لله تعالى المفتقر إلى ربه.

رابعاً: الخوف منه سبحانه ومراقبته، لأنه القائم على كل نفس، المتولي أمرها، الحافظ لأعمالها الذي لا يخفى عليه شيء من أمرها.

قال علي رضي الله عنه: " مَنْ أَرَادَ عِزًّا بِلا عَشِيرَةٍ، وَهَيْبَةً بِلا سُلْطَانٍ، وَغِنًى بِلا مَالٍ فَلْيَخْرُجْ مِنْ ذُلِّ مَعْصِيَةِ اللَّهِ إِلَى عِزِّ طَاعَتِهِ ".

فهو وحده المستحق لأن يُعبد وأن يخصَّ بالذل والخضوع والالتجاء والانكسار ولا يصرف شيء من ذلك لأحد سواه.

(لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ) أي: ومِن كمال حياته وقيُّوميَّته أنَّه لا يَعتريه سبحانه نُعاسٌ، ولا يَغلِبه نومٌ.

موسوعة التفسير

❸ البرهان الثالث " لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ".

في قوله تبارك وتعالى: {لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ}؛ وهذا من أوصافه سبحانه وتعالى أنه جل وعلا منزه عن السنة والنوم، والسنة أول النوم وبداياته وهو النعاس، والنوم معروف.

فالله عز وجل لا يعتريه نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه، فلا تأخذه سنة ولا نوم لكمال حياته وقيوميته.

والله تبارك وتعالى حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، فالنوم من صفات النقص التي يُنزه الله عنها لكمال حياته، قال ﷺ (إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ لا يَنامُ، ولا يَنْبَغِي له أنْ يَنامَ). رواه مسلم

فالنوم يحتاجه المخلوق لنقصه وعجزه، فهو يحتاج للنوم للاستراحة، ولذلك لما كان أهل الجنة كاملي الحياة، كانوا لا ينامون.

قال ابن عاشور: ونفي استيلاء السنة والنوم على الله تعالى تحقيق لكمال الحياة ودوام التدبير، وإثبات لكمال العلم؛ فإنّ السنة والنوم يشبهان الموت، فحياة النائم في حالهما حياة ضعيفة، وهما يعوقان عن التدبير وعن العلم بما يحصل في وقت استيلائهما على الإحساس.

فصفات الرب –تبارك وتعالى–منها ثبوتية، وهذا هو الغالب، فهذه الثبوتية مثل: العزة والحكمة والرحمة، والعلو والاستواء، كل هذا من الصفات الثبوتية، النوع الثاني: وهي الصفات السلبية، ومن هذه الصفات السلبية ما كان بصيغة النفي (لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ)سورة البقرة:255 هذا يدل على كمال حياته وقيوميته؛ لأن السنة وهي مقدمة النوم وخثورته هذه ضعف ونقص في الحياة، وكذلك النوم فهو نقص في الحياة، فهذا يدل على كمال حياته، وحينما ينفي عن نفسه الظلم (وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً)فإن ذلك لكمال عدله،(وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا) سورة البقرة:255 أي: لا يعجزه، أو لا يثقله، وهذا يدل على كمال قدرته وقوته، ونحو ذلك(وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) هذا لكمال إحاطته وعلمه، فبصره نافذ في خلقه، ولا يفوته شيء من أحوالهم، وما أشبه ذلك، فهذا كله يقتضي.

وهنا نذكر موعظة بليغة: تعلق قلب رجل بامرأة بدوية وقد ذهبت ذات ليلة إلى حاجة لها فتبعها الرجل فلما خلا بها في البادية والناس نيام راودها عن نفسها، فقالت له: انظر أنام الناس جميعاً ففرح الرجل وظن أنها قد أجابته إلى ما ابتغاه فقام وطاف حول مضارب الحي فإذا الناس نيام فرجع مسروراً وأخبرها بخلو المكان إلا من النيام، فقالت: ما تقول في الله تبارك وتعالى؟ أنائم هو في هذه الساعة؟ قال الرجل: إن الله لا ينام ولا تأخذه سنة، فقالت المرأة: إن الذي لم ينم ولا ينام ويرانا وإن كان الخلق لا يرون فذلك أولى أن نخشاه، فاتعظ الرجل وتركها وتاب خوفاً من الله تعالى، ولما مات رئي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي لخوفي منه وتوبتي إليه.

وصدق من قال: وإذا خلـوت بـــريبـة في ظلمة * * * والنفس داعيـة إلا العصيانِ

فاستحي من نظر الإله وقل لها * * * إن الذي خلق الظلام يراني

وقال آخر: إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلا تَقُلْ * * * خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيْبُ

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ يَغْفَلُ سَاعَةً * * * وَلا أَنَّ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ يَغِيْبُ

(لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) أي: إنَّه يَملِك وحده جميعَ ما في الكون بغير نِدٍّ ولا شريك، والجميعُ عبيده ومملوكون له؛ فلا تنبغي العبادةُ لغيره سبحانه. موسوعة التفسير

4 البرهان الرابع: " لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرض " خلقاً وملكاً وتدبيراً وامرا ونهيا.

وقال ابن كثير: إخبار بأن الجميع عبيده وفي ملكه، وتحت قهره وسلطانه.

في قوله جل وعلا {لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}؛ هذا من براهين توحيده سبحانه أي ملكاً وتدبيراً، كل ما في السماوات وما في الأرض ملك لله جل وعلا، وكل ما في السماوات وما في الأرض خاضع لتدبيره وتصرفه جل وعلا قال الله عز وجل {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (22) وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ} [سبأ:22-23]

الملك ملك الله سبحانه وتعالى ولا يوجد أيُّ مخلوق كائناً من كان يملك في هذا الكون مثقال ذرة ملكاً استقلاليا، نعم هناك من يملك لكن ماذا؟ يملك أملاكاً ملَكها بتمليكه إياها رب العالمين، قال الله عز وجل {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران:26]،

ومن يملك شيئاً في الدنيا فهو صائر إلى أحد أمرين: إما أن يفارق هو ما يملك أو يفارقه ما يملك لا مناص(إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (24) يونس

قوله تعالى **(لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ)** تقرير لانفراده بالإلهية أي ليس له شريك في ذلك تفرَّد بذلك عز وجل، وكما أنه سبحانه تفرد بالملك والخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة، فالواجب أن يفرد تبارك وتعالى وحده بالعبادة ولا يُشرك به شيئا.

➢والفائدة من إيماننا بأن لله ملك السماوات والأرض:

أولاً: الرضا بقضاء الله، وأن الله لو قضى عليك مرضاً فلا تعترض، ولو قضى عليك فقراً فلا تعترض، لأنك ملكه يتصرف فيك كما يشاء...يدل على ذلك ما أمرنا الله به أن نقول عند المصيبة (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ).

ويدل لذلك أيضاً ما بيّنه النبي صلى الله عليه وسلم لابنته التي أشرف ابنها على الموت، حينما أرسلت إليه ليأتي، فأرسل يقرأ السلام ويقول:(إنَّ لِلَّهِ ما أخَذَ وما أعْطَى، وكُلُّ شيءٍ عِنْدَهُ مُسَمًّى، فَلْتَحْتَسِبْ ولْتَصْبِرْ) صحيح بخاري.

ثانياً: الرضا بشرعه وقبوله والقيام به، لأنك ملكه.

ثالثاً: أن كل ما في الكون ملك لله الأحد سبحانه وتعالى من غير شريك، فما لدينا من مال ومتاع وجاه ليس ملكاً لنا بل هو ملك لله، وإنما نحن مستخلفون فيه للابتلاء والاختبار، كما قال تعالى (آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (7) الحديد.

وقال صلى الله عليه وسلم (إنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وإنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كيفَ تَعْمَلُونَ...) صحيح مسلم.

(مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) أي: لا أحدَ يتجاسَر على القيام بالشَّفاعة عند الله تعالى إلَّا بعد إذنه جلَّ وعلا. موسوعة التفسير

❺ ❁ البرهان الخامس " مَن ذَا الَّذي يَشفَعُ عِندَهُ إِلّا بإذنه "

والشفاعة في اللغة: جعل الشيء شفيعاً، وهي التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة.

⇦ في قوله سبحانه {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ}؛ وهذا برهان عظيم من براهين التوحيد وهذا فيه كمال سلطانه تبارك وتعالى، فلا أحد يستطيع أن يشفع عند الله تبارك الا بإذنه بعكس ملوك الدنيا لا يردوا شفاعة الوزاء يريدوا اعوان ويخشوا خيانتهم وقال جل وعلا {وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى} [النجم:26]

بل بيّن سبحانه وتعالى أن الملائكة ومنهم الروح الأمين عليهم لن يتجرأ أحد منهم الكلام إلا من بعدما أن يأذن له الرحمن كما قال تعالى (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا (38) النبأ.

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه لن يتقدم يوم القيامة أحد من الأنبياء والمرسلين ذلك شفاعة لدى الرب إلا هو صلى الله عليه وسلم، وحتى نبينا عليه الصلاة والسلام يوم القيامة لا يشفع للناس إلا إذا أتاه الإذن الإلهي بعد سجوده لله رب العالمين (... بعد أن يتأخر عنها آدم وموسى وإبراهيم ونوح

وعيسى، يشفع النبي صلى الله عليه وسلم فيقال له: ارفع رأسك، وسل تعْطَه، وقل يُسمع، واشفع تشفّع).

⇦لا أحد يشفع عند الله إلا إذا أذِن الله سبحانه وتعالى

ملوك الدنيا لا يردون شفاعة لكن الملك الحق قال تعالى:﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾(109) طه، تفرد سبحانه بالملك وتفرد بالتدبير.

واسمع هذه القصة العجيبة المؤثرة وقد رواها البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه قال: ((يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي؟ فَيَقُولُ أَبُوهُ : فَالْيَوْمَ لَا أَعْصِيكَ ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ — متوسلاً طالباً من الله سبحانه وتعالى شافعاً لوالده – : يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الْأَبْعَدِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : إِنِّي حَرَّمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا إِبْرَاهِيمُ مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ ، فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ — الذيخ ذكر الضباع ، يتحول والده على هيئة ذكر الضباع – فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ)) .

إمام الحنفاء، خليل الرحمن جاه عظيم ومكانته عظيمه ومنزلته علية، ولا يقبل شفاعته في ابوه لأنه كافر.

شروط الشفاعة ثلاث:

❶ إذن الله للشافع ❷رضى الله تعالى عن المشفوع له قوله وعمله ❸ ان يكون من أهل التوحيد.

ولهذا إذا أراد أحد أن ينال الشفاعة فعليه أن يصلح حاله مع الله بإخلاص التوحيد له، ولهذا نتأمل السؤال الجميل الذي طرحه أبو هريرة على النبي عليه الصلاة والسلام –والحديث في صحيح البخاري – قال: " يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ)).

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال عليه الصلاة والسلام ((لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا)).

إذاً هذا برهان آخر من براهين التوحيد دل عليه قوله تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ}

(يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) أي: إنَّ الله تعالى يعلم ما بين أيدي خلقه من الأمور الماضية، ويعلم أيضًا ما خلفهم من الأمور المستقبلة. موسوعة التفسير

6 البرهان السادس " يَعلَمُ ما بَينَ أَيديهِم وَما خَلفَهُم " علمه محيط بكل شيء

فقيل: (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) يعني الآخرة لأنهم يُقدِمون عليها (وَمَا خَلْفَهُمْ) من الدنيا لأنهم يخلفونها وراء ظهورهم. وقيل (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) الحاضر والمستقبل (وَمَا خَلْفَهُمْ) الماضي.

وقال السعدي: (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) أي: ما مضى من جميع الأمور (وَمَا خَلْفَهُمْ) أي: ما يستقبل منها، فعلمه تعالى محيط بتفاصيل الأمور، متقدمها ومتأخرها، بالظواهر والبواطن، بالغيب والشهادة، والعباد ليس لهم من الأمر شيء ولا من العلم مثقال ذرة إلا ما علمهم تعالى.

في قوله تبارك وتعالى{ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ}؛ هذا من براهين التوحيد أنه تبارك وتعالى أحاط علماً جل وعلا بكل شيء وسع كل شيء علما ، وأحصى كل شيء عددا ، يعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، أحاط علمه بجميع المخلوقات وبجميع البريات ، لا تخفى عليه تبارك وتعالى خافية ، يعلم السر وأخفى ، أحاط علماً بكل شيء جل وعلا .

(يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) وقال الشيخ صديق حسن خان: والمقصود أنه عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شيء من أحوال جميع خلقه، حتى يعلم دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء تحت الأرض الغبراء، وحركة الذرة في جو السماء، والطير في الهواء، والسمك في الماء.

وقال تعالى (عَالِمِ الْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (3) سبأ.

هذه الآية تنبت في قلب العبد الراحة والسكينة لا يخاف الا ذنبه ولا يخشى الا ربه فهو يعلم ان له ركن شديد يغيث المستغيثين إذا قال يا الله اجابه، خائف من كيد الكائدين دعا وافوض امري الى الله فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا، فإحاطة علمه بالمخلوقات دليل على وجوب إخلاص الدين له وإفراده تبارك وتعالى وحده بالعبادة والخضوع له ومراقبته في الأعمال كلها والإخلاص له جل وعلا.

مبحث في العلم للشيخ سليمان اللهيميد نقل بتصرف يسير:

❶فالله تعالى يعلم كل شيء، يشمل الجزئيات والكليات، قال تعالى (وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (12) الطلاق.

❷يعلم سبحانه الماضي والمستقبل قال تعالى (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ)

❸الله يعلم الخفايا وما في الصدور كما قال تعالى (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (38) فاطر.

وقال تعالى (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (16) ق.
وقال تعالى (قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ...)29ال عمران.

❹وليس شيء يصل إلى الأرض أو يصعد من الأرض إلى السماء إلا قد أحاط الله به علماً قال تعالى (يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (2) سبأ.

❺ويعلم الأمور التي لن تكون كيف تكون لو كانت كما قال تعالى عن الكفار حين يكونون في النار (وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (28) الأنعام.

⇦والمتخلفون عن غزوة تبوك لا يحضرونها أبداً، لأن الله هو الذي ثبطهم عنها بحكمته بقوله (وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (46) التوبة

❻ويستوي في علم الله السر والعلانية، والصغير والكبير والغيب والشهادة وقال تعالى (وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (7) طه. وقال تعالى (عَالِمِ الْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (3) سبأ.

❼وعلم الله لم يسبقه جهل ولا يلحقه نسيان قال تعالى (...قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى (52) طه وقال تعالى (... وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا) (64) مريم.

أما علم ابن آدم فمسبوق بجهل ويلحقه نسيان كما قال تعالى (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا...)78النحل.

❽: علمنا قليل بالنسبة لعلم الله قال تعالى (وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (85) الإسراء.

الآثار المترتبة من علمنا بهذه الصفة:

أ-الخوف من الله وخشيته، ومراقبته في السر والعلن، لأن العبد إذا أيقن أن الله تعالى عالم بحاله مطلع على باطنه وظاهره، فإن ذلك يدفعه إلى الاستقامة على أمر الله ظاهراً وباطناً.

ب-اليقين بشمول علم الله تعالى لكل شيء في السماوات والأرض، وللبواطن والظواهر، يثمر في قلب العبد تعظيم الله تعالى وإجلاله والحياء منه، كما يعين على التخلص من الآفات القلبية التي تخفى على الناس ولكنها لا تخفى على الله كآفة الرياء والحسد والغل والعجب والكبر.

قال ابن القيم: فإن قلت: فما السبيل إلى حفظ الخواطر، قلت: أسباب عدة، **أحدها**: العلم الجازم باطلاع الرب سبحانه ونظره إلى قلبك، وعلمه بتفصيل خواطرك، **والثاني**: حياؤك منه، **الثالث**: إجلالك له أن يرى مثل تلك الخواطر في بيته الذي خلق لمعرفته ومحبته.

ج-إن يقين العبد بعلم الله تعالى الشامل لكل شيء، ومن ذلك علمه سبحانه بحال عبده المصاب وما يقاسيه من الآلام، إن ذلك يثمر في القلب الرجاء والأنس بالله ويدفع اليأس والقنوط من القلب.

صلة هذه الجملة (وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ) بما قبلها:

في هذه الجملة – والله أعلم – بيان لسبب حرمان الخلق من الشفاعة إلا بإذنه تعالى، لأنه وحده تعالى عالم بأحوال الشافع والمشفوع له، وهو سبحانه وتعالى وحده يعلم من له أن يشفع ومن يستحق أن يُشفع له.

(وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ) أي: إنَّ سائر من دونه سبحانه لا يعلمون من علم الله تعالى شيئًا البتَّةَ، فلا يعلمون ما بين أيديهم ولا ما خلفهم ولا غير ذلك، إلَّا ما علَّمهم الله تعالى بمشيئته.

❼ البرهان السابع " وَلا يُحيطونَ بِشَيءٍ مِن عِلمِهِ إِلّا بِما شاءَ "

قال الطبري: لا يعلم أحد سواه شيئاً إلا بما شاء هو أن يُعلمه، فأراد فعلّمه.

قال الشيخ ابن عثيمين: وقد علمنا الله تعالى أشياء كثيرة عن أسمائه وصفاته، وعن أحكامه الكونية وأحكامه الشرعية، ولكن هذا الكثير هو بالنسبة لمعلومه قليل كما قال تعالى (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (85) الإسراء.

لا يحيط أحد علماً بذاته جل جلاله وصفاته إلا ما أطلعه تعالى عليه كقوله (ولا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً)

⇦لا يصل العلم إلى العباد الا بمشيئته سبحانه وتعالى.

في قوله سبحانه وتعالى {وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ}؛ وهذا فيه دلالة على ضعف المخلوقات وأن المخلوق مهما أوتي من العلم فعلمه قاصر ناقص، علمٌ مسبوق بعدم {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا} [النحل:78] وآيلٌ إلى الذهاب {وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا} [النحل:70] ، ويعتريه النقصان والنسيان {وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ} [طه:115]نسي آدم ونسيت ذريته ، وأيضا هو في كل ذلك علمٌ قليل {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء:85]⇦فعلم الإنسان قليل وضعيف وقاصر ؛ فكيف يسوى من هذا شأنه بالرب العظيم والخالق الجليل سبحانه وتعالى !!

❽ ❀البرهان الثامن في قوله سبحانه وتعالى{ إِلَّا بِمَا شَاءَ} ؛

أي أن الأمور كلها بمشيئة الله سبحانه وتعالى ، { إِلَّا بِمَا شَاءَ} ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وفي القرآن الكريم ما يزيد على الأربعمائة آية كلها في ذكر أن الأمور بمشيئة الله ، يرزق من يشاء ، يرحم من يشاء ، يعز من يشاء ، يذل من يشاء ، يهب لمن يشاء إناثً يهب لمن يشاء الذكور

يقول الشافعي رحمه الله في أبيات جميلة له في هذا المعنى مناجياً رب العالمين:

مَا شِئْتَ كَانَ وإنْ لم أشَأْ وَمَا شِئْتُ إن لَمْ تَشأْ لَمْ يكنْ

خَلقْتَ العِبَادَ على مَا عَلِمْتَ وَفِي العِلْمِ يَجري الفَتَى وَالْمُسِنْ

عَلَى ذَا مَنَنْتَ، وَهَذا خَذلْتَ وهذا أعنتَ، وذَا لم تُعِنْ

فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ، وَمِنْهُمْ سَعِيد وَمِنْهُمْ قَبِيحٌ، وَمِنْهُمْ حَسَنْ

إذن لا اله الا الله لا معبود بحق الا الله ولا يستحق التعظيم الا الله ما شاء كان وما لم يشاء لم يكن

(وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) أي: أحاطَ كرسيُّ الملِك-تعالى وتقدَّس-بالسَّموات والأرض-على اتِّساعهما وعظمتهما -وشَمِلهما. موسوعة التفسير

❾ ❀البرهان التاسع في قوله سبحانه وتعالى (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ)؛ وهذا برهان عظيم وعجيب من براهين التوحيد، وفيه بيانٌ لعظمة الله سبحانه وتعالى.

⇦ثم ذكر عظمة شئ من مخلوقاته قال تعالى: " وَسِعَ كُرسِيُّهُ السَّماواتِ وَالأَرضَ "، وورد في صحيح ابن حبان حديث حسن بشواهده عن أبي ذر رضي الله عنه قال دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جَالِسٌ وَحْدَهُ، ... قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَيُّ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «آيَةُ الْكُرْسِيِّ» ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ مَعَ الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَى الْحَلْقَةِ»

وقال ابن عباس رضي الله عنه: " الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر أحد قدره " رواه ابن خزيمة في "التوحيد" (1/ 248 رقم: 154).

عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عن قال: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بينَ السماءِ الدنيا والتي تليها خمسمائةُ عامٍ، وبينَ كلِّ سماءٍ وسماءٍ خمسمائةُ عامٍ، وبينَ السماءِ السابعةِ والكرسيِّ خمسمائةُ عامٍ، وبينَ الكرسيِّ والماءِ خمسمائةُ عامٍ، والعرشُ فوقَ الماءِ، واللهُ فوقَ العرشِ، لا يخفَى عليه شيءٌ من أعمالِكم. رواه ابن خزيمة والبيهقي.

وهذا يدل على عظم هذه المخلوقات، وعظم المخلوق يدل على عظم الخالق.

✉ولهذا قال بعض العلماء: قال إن ذكر الكرسي هنا تمهيد وتوطئة لبيان عظمة الرب الذي خُتمت به الآية في قوله سبحانه (وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)، إذا تأملت هنا هداك هذا التأمل إلى عظمة الخالق سبحانه وتعالى.

(وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا) أي: لا يُثقِله ولا يَشقُّ عليه حِفْظ السَّموات والأرض، بل ذلك سَهْلٌ عليه ويسير. موسوعة التفسير

⓾ ❁ ثم البرهان العاشر في قوله سبحانه (وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا)

✉أي لا يثقله سبحانه وتعالى حفظ السماوات والأرض، لكمال علمه وقدرته وإحاطته فهذا دليل أنه سبحانه وتعالى الحفيظ للسماوات وللأرض ولجميع المخلوقات، ولا يثقله ذلك ولا يعجزه ذلك ولا يكلفه ذلك سبحانه وتعالى وتنزه.

✉هل يسوى المملوك بالملك سبحانه وتعالى؟ هذا يبين لنا تفاهة عقول من يلجئون إلى غير الله .

قال تعالى : (وَلا يَئودُهُ حِفظُهُما وَهُوَ العَلِيُّ العَظيمُ)

(وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) أي: إنَّه تَبارك وتقدَّس ذو العُلُوِّ المطلَق على كلِّ مخلوقاته، فهو عليٌّ بذاته فوق عرشه، عليٌّ على خَلْقه بقهره، وكمال صفاته، وهو ذو العَظمة المطلَقة في ذاته وصفاته وسُلطانه، وكلُّ ما سواه حقيرٌ بين يديه، صغيرٌ بالنِّسبة إليه، فلا شيءَ أعظم منه سبحانه وتعالى. موسوعة التفسير

❶❶/❶❷❶*البرهان الحادي عشر والثاني عشر من براهين التوحيد في هذه الآية المباركة العظيمة آية الكرسي في قوله جل وعلا {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ } ؛ خُتمت هذه الآية بهذين الاسمين العظيمين لله جل وعلا.

العلي اسم من أسماء الله الحسنى، معناه المتعالى عن النقص والعجز أو المتعالي عن الصفات التي لا تليق به والعلي الفعيل من قولك: علا يعلو علواً إذا ارتفع فهو عال وعلي، والعلي: ذو العلو والارتفاع على خلقه بقدرته.⇦(فهو دال على علوه تبارك وتعالى على خلقه). تفسير المنتخب في تفسير القرآن الكريم. تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل.

علو الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

1) ذاتاً كما قال سبحانه {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه:5].

2) وقهراً كما قال جل وعلا {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ} [الأنعام:18].

3) وقدراً كما قال جل وعلا {مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} [الحج:74].

فالله عز وجل له علو الذات وعلو القدر وعلو القهر، وعلوه سبحانه وتعالى برهان من براهين توحيده ووجوب إخلاص الدين له، ولهذا قال عز وجل في آية أخرى (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) [الحج:62]

⇦فعلوه سبحانه دليلٌ على وجوب إخلاص الدين له وإفراده تبارك وتعالى بالتوحيد.

البرهان الأخير في قوله (الْعَظِيمُ)

العظيم الذي له العظمة سبحانه وتعالى؛ عظمة الذات وعظمة الأسماء وعظمة الصفات،

فلا يتحرك متحرك ولا يسكن ساكن الا بامره، العظيم الذي له صفات العظمة والجلال.

يقول سبحانه وتعالى (الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ) صحيح أبي داود

✉فالعظيم هو الذي يستحق أن يذل له ويخضع وتصرف له أنواع العبادة ، ولهذا جاء في الحديث الصحيح أن نبينا عليه الصلاة والسلام كان يقول في ركوعه وسجوده (سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ)صحيح أبي داود .

📝**قال السعدي**: العظيم الجامع لجميع صفات العظمة والكبرياء والمجد والبهاء الذي تحبه القلوب، وتعظمه الأرواح، ويعرف العارفون أن عظمة كل شيء وإن جلت في الصفة، فإنها مضمحلة في جانب عظمة العلي العظيم.

📝**واعلم أن معاني التعظيم الثابتة لله وحده نوعان:**

❶ : أنه موصوف بكل صفة كمال، وله من ذلك الكمال أكمله، وأعظمه وأوسعه.

❷ : أنه لا يستحق أحد من الخلق أن يعظم كما يعظم الله، فيستحق من عباده أن يعظموه بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم.

📝**الآثار المترتبة على معرفتنا بأن الله العلي العظيم:**

أولاً: الخشوع والخضوع لله تعالى والاستكانة والتذلل لعظمته وجبروته ومحبته.

ثانياً: ومن تعظيمه سبحانه نفي الشركاء والأنداد عنه، قال تعالى (مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً).

ثالثاً: ومن تعظيمه سبحانه: تعظيم أمره ونهيه، وتعظيم نصوص الكتاب والسنة والاستسلام لها.

رابعاً : ومن تعظيمه سبحانه : تعظيم شعائره ، قال تعالى (ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) .

خامساً : الاستعانة بالله وحده وصدق التوكل عليه ، وتفويض الأمور إليه .

سادساً : الخوف منه سبحانه وحده ، وعدم الخوف من المخلوق الضعيف .

✉فهذه كلمات مختصرة حول هذه الآية العظيمة المباركة آية الكرسي، وإشارة إلى ما اشتملت عليه من البراهين العظيمة والدلائل البينة الواضحة على وجوب إخلاص الدين لله جل وعلا وإفراده تبارك وتعالى بأنواع العبادة ذلا وخضوعاً وتذللاً وانكساراً ودعاءً ورجاءً ورغباً ورهبا. وإنا لنسأل الله تبارك وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يرزقنا توحيداً خالصاً وإيماناً صادقاً.

المراجع:

تفسير الشيخ عبد الرزاق البدر آية الكرسي، تفسير سليمان اللهيميد سورة البقرة، موسوعة التفسير